الدبلوماسية، من دور «رد الفعل» على الاستفراد الاميركي، ومحاولة تجنّب المواجهة معه ما أمكن، الى دور «الفعل» الذي يعني مواجهة دبلوماسية ضد الهيمنة الاميركية، أساسها التحالف المتضامن بين كل الأطراف المعنية، من اجل المصلحة المشتركة، بما فيها المصلحة الاميركية. واذا ما كان المفهوم الاميركي للعلاقات الدولية قد حدّد اسلوبين لحل النزاعات الاقليمية ـ اسلوب ادارة النزاع واسلوب تسوية النزاع ـ فان السوفيات قد اختاروا مقارعة واشنطن على ساحة الاسلوب الثاني، مع ما يعنيه ذلك من ايجاد حلول جذرية للأزمة، ودعم كل العناصر المؤدية الى تحقيق ذلك. لكن السوفيات واجهوا، هنا، عقدة في التوفيق بين الالتزام بروحية «المبادىء» السامية التي تهدف اليها التحركات، وبين التنازلات المطلوبة، واقعياً، كشرط مسبق للتعامل مع القوى الاقليمية المختلفة. ووجدت هذه العقدة حلّها، أحايين كثيرة، في اطالة «الديباجات» الدبلوماسية، والانتزاع البطيء للمكتسبات.

المقابلة والمقارنة، على أساس مستوى «التنازلات» السوفياتية، تؤيدان أطروحة تقول ان موسكو تخلّت عن معارضتها لعدد من الركائز المتعلقة بكيفية تسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي؛ فهي، من جهة، لم تعد تعارض، منذ شهور خلت، ان تبذل الادارة الاميركية جهوداً من جانب واحد لتسهيل بدء عملية المفاوضات العربية ـ الاسرائيلية، طالما ان موسكو «تطّلع» على هذه الجهود، وهو الامر الذي يفسره انكباب النشاط الدبلوماسي السوفياتي المتزامن مع التحرك الاميركي وليس في مواجهته. وبدلاً من المواجهة، سعت موسكو الى «تطوير» هذا التحرك في اتجاه عقد مؤتمر دولي، وفي اتجاه ضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني. كما ان موسكو، من جهة ثانية، لم تعد تعارض اجراء مفاوضات عربية ـ اسرائيلية مباشرة، ثنائية او متعددة الطرف، شرط ان تتمّ باشراف ورعاية المؤتمر الدولي؛ ثم انها، من جهة ثالثة، لم تعد تعارض حل النزاع العربي ـ الاسرائيلي «خطوة خطوة وعلى مراحل»، بل على أساس ان يكون هناك تفاهم بين الأطراف المتنازعة والدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي على «برنامج شامل» لحل هذا النزاع من مختلف جوانبه؛ وأخيراً، فان موسكو لم تعد تعارض قيام اتصالات مباشرة، أو حوار مباشر، بين اسرائيل، من ناحية، وهذا الطرف العربي أو ذاك، من ناحية أخرى، بل انها باتت تشجّع على قيام مثل هذا الحوار، في اطار ما تسميه «بناء جسور الثقة».

وفي الواقع، لقد تميّز ردّ الفعل الاميركي نحو تجديد الاهتمام السوفياتي الناشط في الشرق الاوسط ببعض التشجيع. وحسب قول مسؤول اميركي بارز «انه لمن المفيد ان يذهب السوفيات الى المنطقة على مستوى وزير الخارجية، ادوارد شيفاردنادزه، لأن تقديرهم الشخصي، والمباشر، لمواقف الاطراف العربية سيساعد خطة شولتس».

وفي هذا الاطار، وبهذا المعنى، توافرت التفسيرات لحثّ السوفيات منظمة التحرير الفلسطينية على الاتجاه الى الاعتراف بالقرارات الدولية، أو ما هو أكثر وضوحاً، الاعتراف باسرائيل، وما ولّده ذلك من رد فعل فلسطيني، او حتى ما قام به السوفيات أنفسهم من تقارب مع اسرائيل (اجتماع شيفاردنادزه وشامير في الامم المتحدة). ومن وجهة نظر «اليالطيين» الجدد، بينما كانت واشنطن تعمل على جمع الاطراف الاسرائيلية المبعثرة في خلافاتها، عمل الاتحاد السوفياتي على لَمّ شمل العرب؛ وكل منهما حاول جذب الطرف الذي «يمون» عليه نحو طاولة المفاوضات، في الوقت الذي كان كلّ منهما يقوّي ورقته نحو الآخر على الطاولة ذاتها، عبر جهود الجمع ولَمّ الشمل هذه.

باختصار، كانت موسكو تسعى الى ايجاد المشترك في المواقف السورية والاردنية والمصرية